الدور الإعلامي للنص التأسيسي لمئذنة الجامع الكبير بمـدينة الطويلـة[1] (960هـ/1552م)

د. غيلان حمود غيلان

استاذ مشارك/ قسم الاثار –جامعة صنعاء

المقدمة:

تعد دراسة النصوص التأسيسية وما تحويه من مخزون ثقافي– فكري متعدد ومتنوع بالنسبة للدراسات الأثرية والتاريخية من الأهمية بمكان[2], إذ يستفاد من دراستها في تحديد ماهية المنشآت التي وجدت فيها, سواء كانت جامعا أو خانقاه, أو غير ذلك, بالإضافة إلى تاريخ الإنشاء واسم المنشئ ولقبة[3], غير أن ما يهمنا في النص التأسيسي لمئذنة هذا الجامع, هو الدور الإعلامي الذي قام به, فمن المعروف أن السلاطين والملوك والأمراء عند إصدارهم مرسوماً من المراسيم يتم نقش المرسوم على لوح من الحجر, أو الرخام, ويثبت على جدار الجامع من الداخل, أو الخارج[4], وقد اختير الجامع مكاناً للإعلام والإعلان باعتباره مكان اجتماع الناس للصلاة الجامعة والجماعة, اذ يلتقون فيه للصلاة وتبادل الراي, ويقصدونه للوقوف على اخبار جماعتهم[5], ولذلك يثبت اللوح المدون عليه النص التأسيسي في مكان مناسب بحيث يراه كل الداخلين إلي الجامع, ليؤدي وظيفته الإعلامية.

فالإعلام هو الإخبارُ، والإظهار, والنشر[6], وأعلَمَ بالشيءِ أي أبلَغ عنه وأخبرَ به, ويقال اسْتَعْلِمْ لي خَبَر فلان وأَعْلِمْنِيه حتى أَعْلَمَه, واسْتَعْلَمَني الخبرَ فأَعْلَمْتُه إياه[7], فلا يخرج معنى الإعلام لغة عن الإخبار بالشيء أو الأمر أو الإبلاغ عنه أو الإعلام به ومعرفته[8], وفي الاصطلاح الإعلام بأمر مخصوص على وجه

---

1 – مدينة الطويلة: تقع في الشمال الغربي من صنعاء وترتفع (2000متر) عن مستوى سطح البحر, وتستند على جبل القرانع, وتتميز بموقعها الاستراتيجي المحصن تحصينا طبيعيا بالإضافة الي عدد من الحصون والقلاع التاريخية, **الموسوعة السياحية**, جـ 2, وزارة السياحة, صنعاء, 2010م, صـ 131. انظر (شكل 1, ولوحة1)

2– الباشا, حسن, **موسوعة العمارة والاثار والفنون الاسلامية**, المجلد الثالث, اوراق شرقية , ط1, بيروت, لبنان, 1999م, صـ 218–219.

3 – الحداد, محمد حمزة, **العلاقة بين النص التأسيسي والوظيفة والتخطيط المعماري لمدارس القاهرة في العصر المملوكي**, بحث منشور في كتاب بحوث ودراسات في العمارة الإسلامية, الكتاب الأول, دار نهضة الشرق, ط 1, القاهرة 2000م, صـ 204–205.

4– الشهابي, قتيبة, **النقوش الكتابية في أوابد دمشق, وزارة الثقافة, دمشق, 1997م, صـ12**.

5 مؤنس, حسين, المساجد, عالم المعرفة, العدد 37, الكويت, يناير 1981م, صـ34

6 – البستاني, بطرس, **دائرة المعارف**, جـ 3, مؤسسة مطبوعاتي اسماعيليان, تهران, 1878م, صـ 768.

7 – ابن منظور, أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم, **لسان العرب**, المجلد الثاني عشر, دار صادر, ط6, بيروت,1997م, صـ418 .

8 – الجوهري, إسماعيل بن حماد, **الصحاح– تاج اللغة وصحاح العربية**, تحقيق احمد عبد الغفور عطارد, جـ 5, دار العالم للملايين, ط 2, بيروت, 1979م, صـ 1990.

DOI:10.12816/0038041

الخصوص[9], ولا يبتعد المعنى اللغوي للإعلام عن المعنى العام لمفهوم الإعلام فهو نقل للمعلومات والمعارف والثقافات الفكرية والسلوكية، بطريقة معينة، من خلال أدوات ووسائل الإعلام.[10]

كما ان النصوص التأسيسية يمكن اعتبارها جزءاً من الإعلام, فقد تستخدم للدعاية, ونقصد بها الدعاية التي تقوم على مخاطبة المشاعر والخواطر للتأثير على أفكار الناس وسلوكهم[11] سوأ كانت ترغيب أو ترهيب[12].

أهمية البحث: تكمن أهمية البحث في معرفة الدور الوظيفي الذي تؤديه النصوص التأسيسية, ولاسيما الجانب الإعلامي منها.

مشكلة البحث: لم يحظ نص تأسيس مئذنة الجامع الكبير بمدينة الطويلة بدراسة من قبل, ومن هنا جاءت مشكلة هذه الدراسة, وهي دراسة هذا النص التأسيسي وما ورد فيه أولاً, والبحث في الدور الإعلامي له ثانياً.

هدف البحث : يهدف هذا البحث إلى الكشف عن الوظيفة الإعلامية للنص التأسيسي لمئذنة جامع الطويلة من خلال:

- توضيح مدى موائمة الموضع الذي ثبت فيه النص مع وظيفته الإعلامية.
- دراسة القيم والمضامين التاريخية التي احتواها النص.
- معرفة الدوافع والأسباب التي أدت إلى توسيع الجامع وتجديده, وبناء صومعة له.
- تحديد مدى تأثير الإشادة بأهل مدينة الطويلة من قبل الوالي, على كسب ولاء السكان وطاعتهم.
- معرفة الوضع التجاري والاقتصادي لمدينة الطويلة وسوقها من واقع النص.

منهجية البحث: تعتمد الدراسة بشكل جوهري على الاستقراء, والشرح والربط والاستنتاج, لمحاولة الوصول إلى اقرب الرؤى والنتائج, وأكثرها فاعلية من خلال المنهج الاستقرائي, والمنهج الوصفي التحليلي, مع جمع المادة العلمية المتعلقة بجوانب الدراسة من المراجع العلمية المتمثلة في المصادر, والمراجع, والرسائل العلمية.

9 – البستاني, بطرس, المصدر السابق, صـ 768.

10 – محمد, محمد سيد, **أمة تدعوا الى الخير**, سلسلة فكر المواجهة, العدد 24, رابطة الجامعات الاسلامية, ط1, القاهرة, 2009م, صـ 47.

11– سلامة, عبد الحافظ محمد, **وسائل الاتصال والتكنولوجيا في التعليم**, دار الفكر, ط2, عمان, الاردن, 1998م, صـ 78.

12 – المهيري, سعيد عبد الله, **تأثير الاعلام على القيم الاخلاقية**, مجلة الثوابت, العدد 57, صنعاء, الجمهورية اليمنية, يوليو–سبتمبر,2009م, صـ19.

The role of media for the founding text of the Great Mosque

In the Tawila

Dr. Ghilan Hamoud Ghilan

Department of Archaeology / University of Sana'a

There is no doubt that the study of foundational texts have great benefit, as learned from it's studies in determining what facilities which they were found, Whether inclusive or Khanqah, or otherwise, in addition to the date of construction and the name of the originator and the title

What concerns us is that the text in the founding of this university is the role played by the media, By referring to some of the topics of political, social, and economic, as well as take some formula writing style (Farmans) that were prevalent at that time

The Importance of Research: The importance of this research to emphasize the role played by career foundational texts, especially the media ones.

The Problem: Is not received the text of the founding of the Great Mosque of the city Tawila before the study, hence the problem of this study, is to study this founding text first, second look for the role of media .

Aim of The Research: This research aims at revealing the function of the media through the foundational texts:

- Study the historical values of the texts
- - know the motives and reasons that led to the renewal of the mosque and rebuilding
- - documenting the titles and functions mention in the text, which was prevalent when it was written.

–clarify his impact of the praying for governor on the political and social side.

Determine the effect of paying tribute to the people of the city long before the governor, to win the loyalty of the population and their obedience.

- study the effects of what is stated in the text on the formation of public opinion at that time.
- analyzing commercial and economic situation of the city from the reality of the text.
- illustrate the alignment position, which has proved the text with it's media role.

Research Methodology: The study is based substantially on the induction and explanation, connectivity and conclusion, To try to reach the nearest visions, and the most effective results through inductive approach, and descriptive analytical method, With the collection of material relating to the scientific aspects of the study of the scientific literature of sources, references and Arab and foreign, and theses, and analyzing comparative analysis.

Conclusion: The expected results of this research will provide the researchers in Islamic monuments foundational texts of the media and the role it played in this area.

مدخل تاريخي:

شهد تاريخ اليمن خلال الفترة (945- 1045هـ/1538- 1635م) صراع بين أئمة الزيدية والعثمانيين, واشتد الصدام بين الطرفين عندما توغل العثمانيين في مناطق اليمن الداخلية الخاضعة لسلطة الإمام شرف الدين, والتي كانت تمثل المجال الحيوي لمحاولات إقامة الدولة الزيدية فيها[13]، الأمر الذي دفع الأئمة من آل شرف الدين إلي الدخول مع العثمانيين في حروب استمرت ما يقارب مائة عام، وانتهت بخروج العثمانيين من اليمن سنة (1045هـ/1635م)[14].

لقد استدعت ظروف الصراع بين الطرفين إلى إيجاد مبررات شرعية (أيديولوجيا التبرير) لإضفاء نوع من الشرعية على أعمالهم السياسية والعسكرية، وليس ذلك فحسب, بل تبنى الطرفان كلما من شانه يفيد في هذا الصراع, كالخطابات السياسية المؤطره دينياً، والأشعار والمرويات التي تحكي وقوع الكرامات لزعماء الحرب، وصارت قضية توظيفها واستغلالها جزء من ذلك الصراع، الأمر الذي دفع القوى المتصارعة إلى تشجيع واستمالة النخب المثقفة آنذاك للمشاركة في إدارة هذا المحور، لما يملكونه من قدرات علمية ولغوية يستطيعون من خلالها إعادة الادعاءات السياسية بتعابير تضفي نوعاً من الشرعية على الأعمال والتصرفات السياسية لكل طرف[15].

لقد ترتب على اشتراك النخب المثقفة في الأحداث وجود حالة من الصراع الفكري, حيث انضوى العديد منهم تحت لواء كل طرف، وعملوا على أيجاد تبريرات لتصرفات من انحازوا إليه, كما شنوا حملات دعائية ضد خصومهم، فكانوا بمثابة وسائل إعلام للقوى المتصارعة[16].

إن أحداث هذا الصراع قد لقيت حظاً من الدراسات الأكاديمية، خاصة فيما يتعلق بالجوانب السياسية والعسكرية, إلا أن ثمة جانباً فيه لم يلق حظه من الدراسة والبحث, وهو الجانب الإعلامي لذلك الصراع, فمن خلال الاطلاع على الوسائل المتباينة للقوى المتصارعة، نجد أنه قد تم توظيف كل الوسائل المتاحة آنذاك لمخاطبة المجتمع، ومن هذه الوسائل النصوص التأسيسية.

لقد أثار البحث بعض التساؤلات, للخروج بتصور عن الجانب الإعلامي للنص التأسيسي، بما حمله من مفردات وخصوصيات, وتمثلت تلك التساؤلات بالاتي:

– ما هي الدوافع التي دفعت بأحد طرفا الصراع للقيام بتجديد المسجد وإنشاء صومعة له ؟

– ما هو الدور الإعلامي الذي يؤديه النص التأسيسي؟ وهل كان احد وسائل الترويج والإعلان في ذلك الصراع ؟

ولمحاولة الإجابة على هذه التساؤلات لا بد من العودة إلى النص التأسيسي لمعرفة ما ورد فيه, وتحليل مضمونه, ومن ثم الاستعانة بما جاء في مصنفات الدارسين والمؤرخين لتلك المرحلة.

---

13 – سالم, سيد مصطفى, **الفتح العثماني الاول لليمن, 1538–1635**, معهد البحوث والدراسات العربية, ط3, مطبعة الجبلاوي, القاهرة, 1978م, صـ 177.

14– العزير, عبد الكريم علي صالح, **قراءة تحليلية حول اهمية ارتباط ولاية اليمن بالإمبراطورية العثمانية** , مجلة الثوابت, العدد 63, يناير– مارس 2011م, صـ 26.

15– المصري, أحمد صالح عبد ربه, **موقف المؤرخين اليمنيين المعاصرين للحكم العثماني الأول بين مؤيد ومعارض مع دراسة وتحقيق مخطوطة بلوغ المرام في تاريخ دولة مولانا بهرام للمؤرخ محمد بن يحيى المطيب**, أطروحة ماجستير مقدمة لكلية الآداب جامعة صنعاء, 2006م صـ53.

16 – المصري, أحمد صالح عبد ربه, المصدر نفسه, صـ91

فحوى النص التأسيسي:

نقش النص التأسيسي على لوح من حجر البلق يبلغ ارتفاعه (30 سم) وعرضه(27 سم) وقسم على ثمانية اسطر سمك كل سطر(2,9سم) ونفذ في اعلاه دائرة شغل وسطها عبارة التوحيد (لا اله إلا الله محمد رسول الله)

1- بسم الله الرحمن الرحيم أنشا هذه الصومعة المباركة وجدد المسجد المبارك ابتغا مرضات الله تعالى
2- في ايام مولانا السلطان[17] الملك[18] المظفر[19] سليمان بن سليم[20] عز نصره نشاة الامير المقر العالي[21] امير السنجق[22] الشريف قانصوه أمير الحج[23] في جهة
3- زبيد[24] حرسها الله تعالى في شهر ذي الحجة الحرام آخر شهور سنة ستين وتسعماية سنة اصلح الله احواله وبلغه بالصالحات اماله وهو

17- السلطان: السلطان في اللغة بمعنى القهر, واستعمل اللقب لأول مرة منذ عهد هارون الرشيد كلقب لخالد بن برمك, ولم يصبح لقباً عاماً الا بعد تغلب ملوك المشرق-كبني بويه- على الخلفاء, واستأثروا بالسلطة دونهم, الباشا, حسن, **الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار**، الدار الفنية، القاهرة، 1989, صـ 293- 294.

18 - الملك: الملك لقب يطلق على الرئيس الاعلى للسلطة الزمنية وقد تلقب به سلاطين الدولة الأيوبية في مصر. الباشا, حسن, الالقاب الاسلامية, صـ 492- 502.

19 - المظفر: الظافر من الظفر بمعنى الفوز, وقد عرف هذا اللقب منذ القرن(5 هـ/ 11م) في الدولة الاموية بالأندلس والدولتين الفاطمية والأيوبية في مصر. الباشا, حسن, المصدر نفسه, صـ383.

20 - سليمان بن سليم: هو السلطان العاشر من سلاطين الدولة العثمانية, ولد عام (900هـ/ 1494م) وتولى زمام السلطنة عام(926هـ/ 1519م) فقام بحق الخلافة ورفع شأن السلطنة الى اوج العظمة والابهة, ووضع لها عدة قوانين تتعلق بالإدارة ولذلك لقب بالقانوني. آصف, عزتلو يوسف بك, **تاريخ سلاطين بني عثمان من اولهم حتى الآن**, كلمات عربية للترجمة والنشر, القاهرة, 2012م, صـ63.

21 - المقر العالي: المقر اصله في اللغة موضع الاستقرار, وقد استعير في المكاتبات للإشارة الى صاحب المكان تعظيما له عن التفوه باسمه, وقد اطلق لقب(المقر العالي) على السلاطين في بداية الامر, ثم استعمل في النقوش للأمراء العسكريين. الباشا, حسن, المصدر السابق, صـ489-490.

22- السنجق: كلمة فارسية معناها العَلم والمقاطعة والإقليم, أي أنها راية مرفوعة للمسلمين وعَلم لهم. مجمع اللغة العربية, **المعجم الوسيط**, مكتبة الشروق الدولية, ط4, جمهورية مصر العربية, 2005م, صـ 453.

23 - امير الحج: لقد سار الخلفاء رضوان الله عليهم من بعد الرسول صلى الله عليه وسلم على نفس المنهاج في تعيين أمير للحج وجعله مؤتمراً إسلاميا كبيراً, إذ كان الإعداد والتحضير لمحمل الحج اليمني يبدأ قبل موسم الحج بشهرين، ولعل أهم العواصم اليمنية التي كانت تنطلق منها جموع الحجاج اليمنيين إلى مكة هي: عدن ، وتعز وصنعاء وزبيد وصعدة، و كانت بعض مسارات تلك الطرق يلتقي بعضها ببعض في نقاط معينة، مثل طريق تعز زبيد وطريق صنعاء صعدة. انظر: الثنيان, محمد بن عبد الرحمن راشد, **دراسة اثرية لطريق الحج اليمني الاعلى الواصل بين صنعاء ومكة المكرمة**, ط1, وكالة الاثار والمتاحف, وزارة المعارف, المملكة العربية السعودية, 1420هـ/ 2000م. وكذلك: عامر, محمود علي, **قافلة الحج اليمني خلال العهد العثماني الاول**, مجلة الاكليل, وزارة الثقافة والسياحة, العدد الاول, شتاء 1413هـ/ 1992م, صـ 33.

24 - زبيد: يطلق هذا الاسم اليوم على احدى مديريات محافظة الحديدة, وهو اسم لوادي زبيد الذي تسميت به المدينة, وخلال فترة الوجود العثماني الاول كانت زبيد القاعدة العسكرية الرئيسية للعثمانيين فقد انطلقت جيوشهم منها لإخضاع المناطق اليمنية لسيطرتهم, وفور تحقيقهم ذلك نقلوا العاصمة منها الى صنعاء. العروسي, محمد علي, **مادة زبيد, الموسوعة اليمنية**, ج2, مؤسسة العفيف, ط 2, صنعاء,2003م, صـ 1441-1446.

4- عند ثبوت انه الولاء في الطويله حرسها الله تعالى وابقى من احبها مولانا[25] الباشا الاكرم ازدمر[26] زاد قدره بعد أن استفتح

5- مدينة صنعا حرسها الله تعالى وساير الجهات اليمنية وعلى من تولا مدينة الطويلة الاجلال لاهلها فهم

6- خير من دفع المطالب وسوقها محترم لم يكن فيه مطلب للمتولى معتاد الاتى على التجار من اهل الملح مقابل المحبة

7- والامان لا بارك الله من غير او تعدا من ساير الامرا[27] والبكوات[28] لان تلك الجهة قد علم ذلك

8- واشرف عليه والحمد لله رب العالمين وصلى وسلم كتبه الفقير إلى الله تعالى[29] حسين بن المهدي محمد بن شهاب. (شكل2, لوحة2)

موضع تثبيت النص التأسيسي:

نجد أن اللوح الحجري قد ثبت على يمين الداخل إلى الجامع, وفي ارتفاع مناسب يبلغ (160 سم) وذلك لسهولة النظر إليه من جهة, ومن جهة أخرى لأن الناس يخضعون من دون وعي لثنائية المثير والاستجابة, فعندما تتجه أنظارهم إليه سوف يتحفزون لقرأته, لمعرفة ما ورد فيه, فيوصل النقش المزبور في الجدار رسالته على أكمل وجه, وما تجدر الاشارة اليه أن هناك فروق بين إدراك الكلام سمعاً وإدراك الكلمات بصرياً, ولعل أوضح هذه الفروق هو أن الكلمة المسموعة ذات عمر قصير للغاية حتى وان كان الخطيب بليغ في كلماته, بينما يستطيع القارئ مراجعة الكلمة المكتوبة أي عدد من المرات ما دامت موجودة أمامه[30], كما ان النقش أفضل من اللفظ, لأن اللفظ يفهم الحاضر فقط, بينما النقش يفهم الحاضر والغائب,[31] فيحدث التواصل, فيؤثر على المتلقي تأثيرات وجدانية تكون لها انعكاسات إيجابية فيتحولوا إلي الاندماج أو التكيف مع الآخر.

---

25 – الوالي: هو الشخص الذي كانت ترسله الدولة العثمانية الي احد ولاياتها لحكمها نيابة عن السلطان, فهو مثل السلطان في الحكم والادارة , انظر: عبد الغني, احمد جلبي, **اوضح الاشارات فيمن ولي مصر من الوزراء والباشات**, تحقيق فؤاد محمد الماوي, دار الانصار, القاهرة, 1977م, صـ 176-177.

26 – يذكر ازدمر في المراجع التركية باسم (ازدمير) ومعناه في اللغة التركية (الحديد), وهو من المماليك الذين ابقى عليهم السلطان سليم الاول بعد دخوله مصر, ويعتبر من اهم الشخصيات العثمانية التي ظهرت في اليمن في تلك الفترة, اذ يعد الفاتح الاول لليمن . سالم, سيد مصطفى, المصدر السابق, هامش 1, صـ 191, وهامش صـ 187.

27 – الأمير: الأمير في اللغة ذو الأمر والتسلط، وهو لقب من ألقاب الوظائف التي استعملت كذلك كألقاب فخرية, الباشا، حسن, الألقاب الإسلامية, صـ 179.

28 – البكوات: بك: لفظ تركى بمعنى الكبير واصله مقصور عن "بيوك" أي كبير ويلاحظ أن استعمال "بك" كلقب كان يلحق بالاسم, وقد جاء في النص بصيغة جمع. الباشا، حسن, الألقاب الإسلامية, صـ225.

29 – الفقير الى الله تعالى: من القاب التواضع والتذلل لله تعالى وقد اطلق هذا اللقب لأول مرة على السلطان نور الدين زنكي في نص تأسيس الجامع النوري بحماة سنة(550هـ), الباشا, حسن, المصدر نفسه, صـ 393.

30 – الحمداني, موفق, **علم نفس اللغة من منظور معرفي**, دار المسيرة, ط1, عمان, الأردن 2004م, صـ 35

31 – ألنجفي, شهاب الدين الحسيني المرعشي, **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**, المجلد 1, دار العلوم, بيروت, لبنان, (بدون تاريخ طبع), صـ 707.

لقد اعتمد النص التأسيسي على الجمل المعبرة الواضحة, بمعنى آخر وضوح الهدف وبساطة المضمون المعتمد على الاختصار في الكلمات المكتوبة, والتركيز على الكلمات المعبرة, فالنص هنا كان يستهدف تشكيل الرأي العام، من خلال كسب رضا الناس, وبالتالي يؤثر على سلوكياتهم، وقيمهم سواء كانوا افراد او جماعات, إذ يلاحظ أن ما ورد فيه من جمل تخاطب القارئ, تشبه ما يرد في النصوص الاقناعية, التي يهدف مؤلفوها إلى التأثير على القارئ واقناعه بوجهة نظرهم في موضوع ما[32]، فقد قام النقش بدور المقنع من خلال توظيف اللغة المعبرة, والأساليب اللغوية المتنوعة, فمن الأساليب التي استخدمها النقش للإقناع, اللغة الإيقاعية, واللهجة العامية مثل (ساير) والتركيز على العام مثل (الإجلال لأهلها) والإكثار من الفعل المضارع (ابتغى, ابقي, استفتح) واستخدام الضمائر مثل(أحواله, آماله, زاد قدره) وكلها من الأسس التي يعتمد عليها النص ألا قناعي.

يتضح من خلال النظرة الفاحصة لهذا النص انه تطرق إلى ثمانية مواضيع رئيسية هي:

1- تجديد المسجد وأنشأ صومعة له.
2- حب الباشا ازدمر لمدينة الطويلة.
3- التأكيد على استفتاح مدينة صنعا وساير الجهات اليمنية.
4- الإجلال لأهل مدينة الطويلة.
5- احتوى مدينة الطويلة على سوق محترم.
6- اعفاء تجار الملح
7- الدعاء على من يغير ما جاء في النص.
8- توقيع الصانع.

وسوف نتناول هذه المواضيع بالدراسة لكي نصل إلي الدوافع والأسباب التي دفعت بأمير الحج إلى القيام بهذا العمل, غير أن أول ما يلاحظ على النص خلوه من (الطغراء العثمانية)[33] التي كانت النصوص في العهد العثماني تستهل بها, فقد اعتلى النص هنا دائرة دون في داخلها (لا اله إلا الله محمد رسول الله) وكلمة التوحيد هي كلمة الإخلاص, وشهادة الحق, ودعوة الرسل, وبراءة من الشرك, ورأس هذا الأمر, فلا يدخل الإنسان في الإسلام إلا بعد أن يشهد هذه الشهادة, شهادة (لا إله إلا الله محمد رسول الله) فإن آبى فلا يكون من أهل الإسلام والتوحيد, بل هو من أهل الكفر والشرك, ولذا هي الركن الأول من أركان الإسلام[34].

32- للإقناع عدة تعريفات منها : أي اتصال مكتوب او شفوي او بصري يهدف بشكل محدد إلي التأثير على الاتجاهات والاعتقادات, او المعلومات, او السلوك؛ ابو عرقوب, ابراهيم, **الاتصال الانساني ودوره في التفاعل الاجتماعي**, دار مجدلاوي للنشر والتوزيع, عمان, 2005م, صـ 128.

33 – الطغراء: هو شكل جميل يكتب عادة بخط الثلث على شكل مخصوص، وقيل إن أصلها علامة سلطانية تكتب في الأوامر السلطانية وعلى النقود، ويذكر فيها اسم السلطان ولقبه, وقيل إن أصل كلمة (طغراء) هي لفظة تتاريه تحتوي على اسم السلطان الحاكم وألقاب. مجمع اللغة العربية, **المعجم الوسيط**, مكتبة الشروق الدولية, ط4,جمهورية مصر العربية, 2005م, صـ 558.

34 – النجدي, عبد الرحمن بن محمد بن قاسم الحنبلي, **حاشية ثلاثة اصول لمحمد بن عبد الوهاب**, ط 5, (بدون مكان طبع), 1987م, صـ 100-101.

إن مرد ذلك التوكيد على أن يعتلي النص كلمة التوحيد هي توضيح للقارئ أن العثمانيين مسلمون موحدين, وليسوا كما يشيع أعدائهم ومناوئيهم الذين يظهرونهم بمظهر المخالف والعاصي الخارج عن الشريعة الاسلامية[35], وقد يعزى السبب في ذلك إلى أن كاتب النص يمني يجهل الطغراء, فضلا عن القائم بهذا العمل ليس سوى أمير الحج, والطغراء اختص بها السلاطين دون غيرهم[36].

وزيادة في تعزيز هذه الرسالة الاتصالية, فقد استفتح النص بالبسملة– وقد جاء تفسير معناها: أبدا بتسمية الله وذكره قبل كل شيء مستعينا به جلَّ وعلا في جميع اموري طالباً منه وحده العون–[37].

1- تجديد المسجد وأنشأ صومعة له:

لقد حدد النص من بدايته تاريخ حدوث بناء الصومعة في ايام مولانا السلطان الملك المظفر سليمان بن سليم, وهو بذلك يخاطب الناس بان هناك سلطان للمسلمين وله السمع والطاعة, التي رحب بها اليمنيين في البداية, ولم تظهر أي مقاومة تذكر باستثناء بعض اتباع المذهب الزيدي, اما اتباع غير المذهب الزيدي وهم اكثر سكان اليمن فانهم كانوا لا يجدون في انفسهم غضاضة تجاه الحكم العثماني,[38] وحقيقة الامر ان الدولة العثمانية كانت بحاجة الى تذكير الناس بشرعيتها, وعدم شرعية من يخرج عليها[39], بالإضافة إلى أن محبة العثمانيين كانت قد تجذرت عميقاً في نفوس اليمنيين، وقد لجأ العثمانيون إلى شتى الوسائل لتغذية تلك المشاعر, لاسيما وانهم يدافعون عن الاراضي المقدسة, فضلا عن بسطاء المسلمين, واسترشاداً بمبادئ الترغيب أخذوا يتباهون بصدقهم وعدالتهم وأظهروا قلقاً متعمداً على مصالح بسطاء الناس[40].

ووفقاً لنهج الباب العالي في الإدارة, وتقاليده السياسية, كان على حكام اليمن أن يولوا جل اهتمامهم لمراعاة الشريعة, والقوانين العثمانية, وقطع دابر أعمال السلب والنهب, وتامين طرق المواصلات وخانات

35 – المصري, المصدر السابق, صـ 40–41.

36 – مجمع اللغة العربية, المعجم الوسيط, صـ 558.

37 – الصابوني, محمد علي, **صفوة التفاسير**, **القسم الاول**, **تفسير سورتي الفاتحة والبقرة**, دار القران الكريم, بيروت, 1981م, صـ9.

38 – الاكوع, اسماعيل, **عوامل مقاومة اهل اليمن للحكم العثماني**, مجلة الاكليل, العددان 31–32, يناير– يونيو, وزارة الثقافة, صنعاء, الجمهورية اليمنية, 2008م, صـ35.

39 – المصري, أحمد صالح عبد ربه, المصدر السابق, صـ107.

40 – الوازعي, شمس الدين عبد الصمد اسماعيل, **دخول العثمانيين الاول الى اليمن المسمى الاحسان في دخول اليمن في ظل عدالة آل عثمان**, تحقيق عبد الله محمد الحبشي, بيروت, 1986م, صـ 39.

القوافل, فضلا عن ابقاء الجوامع والمساجد في حالة جيدة[41], لأن المسجد مبنى وظيفي دلالي رمزي,[42] فهو بيت اللهِ عز وجل الذي ينبغي أن يكون محل ذِكره, وعبادته, وتعظيمه, وتلاوة كتابه, ونشر شريعته, ومأوى عبادهِ الصالحين، بالإضافة إلى انه مركز اتصال بين الناس, ففيه لا يشعر الغريب من ابنا الامة الاسلامية بانه غريب, حيثما كان في العالم الإسلامي,[43]ولهذا قام الامير قنصوه بعمل الانشاءات والتجديد لهذا الجامع في البداية, ثم ادرك بحكم خبرته وسعة اطلاعه كأمير للسنجق الشريف[44] ان الجامع الكبير في مدينة الطويلة يخلوا من مئذنة, فامر ببنائها بعد اربعة اشهر من ترميم وتجديد الجامع, فمن المرجح انه زار الجامع واكتشف ذلك, وما يؤكد هذا, ذلك النص التأسيسي الذي ثبت في صحن المسجد بعد الانتهاء من التوسعة والتجديد, والتي تبلغ مقاساته (24x17), فقد ذكر بأن توسعة الجامع المبارك في شهر شعبان, بينما المئذنة بنيت في شهر ذي الحجة بعد استكمال اعمال الإنشاءات في هذا الجامع بحسب ما ورد في هذا النص التأسيسي المؤلف من ثمانية اسطر ونصها:

1- لا اله الا الله محمد رسول الله
2- بسم الله الرحمن الرحيم
3- عمرت هذه الزيادة توسعا
4- للجامع المبارك في ايام مولانا
5- السلطان الاعظم سليمان بن سليم شاه
6- عز نصره عمرت بعناية امير السنجق الشريف

41 – المصري, احمد صالح, **المآثر العمرانية العثمانية في تعز دراسة تاريخية لما ورد في كتاب الاحسان للمؤرخ شمس الدين عبد الصمد الموزعي**, بحث منشور في كتاب: تعز عاصمة اليمن الثقافية على مر العصور, ج 3, مؤسسة السعيد, تعز, الجمهورية اليمنية,2010م, صـ 775.

42 – المالكي, قبيلة, **تاريخ العمارة عبر العصور**, ط1, دار المناهج للنشر والتوزيع, عمان, الاردن, 2007م, صـ 149

43 – مؤنس, حسين, المصدر السابق, صـ 42.

44 – تشير بعض المصادر ان اول وآل عثماني تولى قيادة محمل الحج اليمني الى مكة هو مصطفى غزة, في حين يذكر النهروالي بانه الوالي مصطفى باشا النشار, ويبدوا أن الامر استمر حتى وصل الى الامير قنصوه, غير اننا لم نتمكن بعد البحث والتدقيق الى التوصل لمعرفة اصل هذا الامير ولقبه.

انظر: عامر, محمود علي, **قافلة الحج اليمني خلال العهد العثماني الاول**, مجلة الاكليل, وزارة الثقافة والسياحة, العدد الاول, شتاء 1413هـ/ 1992م, صـ 42.

7- قنصوه امير الحج في زبيد زاد قدره

8- كتب بتاريخ شهر شعبان من شهور سنة 60...(لوحة4).

لقد اضيفت المئذنة في الركن الجنوبي الشرقي لبنية الصلاة, وتتضح هذه الاضافة في شكل البناء, اذ يلاحظ عدم ترابط صفوف الاحجار, مما يؤكد انها لم تكن من اصل بناء التوسعة والتجديد, وقد اتخذت المئذنة قاعدة مربعة الشكل، يفتح في ضلعها الشمالي باب, ويتم الدخول منه للصعود إلى أعلى المئذنة، وتنتهي القاعدة من أعلى بشرفة مستديرة يعلوها بدن أسطواني الشكل, وينتهي من أعلاه بشرفة تدور حول رأس البدن وتتكون من ثلاثة مستويات في المستويين الأعلى والأسفل صفان من المقرنصات, وفي المستوى الأوسط المحصور بينهما تسع حطات من المقرنصات وتفصل بين الثلاثة المستويات ثلاث حليات زخرفية بارزة، ويعلو هذه الشرفة بدن صغير تفتح فيه نوافذ مستطيلة الشكل، ويغطي البدن سقف المئذنة الذي جاء على هيئة قبة مدببة الشكل.(شكل4, لوحة3).

تعد المئذنة رمز للمسجد في الإسلام, بالإضافة الي انها تعد من مظاهر تعظيم المسجد,[45]ظهرت في بدايتها بسيطة عبارة عن مكاناً مرتفعاً تساعد المؤذِّن على إيصال صوته إلى أبعد مسافة ممكنة, وبعد ذلك اهتم الخلفاء بهذا العنصر العماري وشيدوا مآذن طوال في البلدان المفتوحة لإظهار تدينهم[46], فتطوَّرت هندسياً وجمالياً, حتى استقرت كرمز يتجاوز في ديمومته ودلالته الوظيفة الأولية[47], هذه الوظيفة الجديدة هي التعبير عن عالم روحي يهيمن على المدينة[48], فعندما نرى مئذنة شامخة في سماء مدينة ما نعرف فوراً أننا في مكان يقطنه مسلمين، ولأن المئذنة على خلاف غيرها من المعالم المعمارية في الحضارة الإسلامية، تقف واضحة الانتماء والوظيفة, فهي تختال مرتفعة في بلاد المسلمين[49]، حتى أصبحت رمزا لهذه الهوية, اذ تشير إلي المبنى الذي تقام عليه, ليس بشكلها أو وظيفتها فحسب, بل توضح رمزية الشكل في العمارة الإسلامية, وتحدد إحداثياتها

45 – الباشا, حسن, **موسوعة العمارة والاثار والفنون الاسلامية**, المجلد الاول, اوراق شرقية , ط1, بيروت, لبنان, 1999م, صـ 204.

46 – محمد, غازي رجب, **اهمية المسجد المركزية في المدينة العربية**, بحث منشور ضمن كتاب انظمة المدينة العربية, مركز احياء التراث العلمي العربي, جامعة بغداد, دار الحكمة للطباعة والنشر, 1991م, صـ 55

47 – سيف, علي سعيد, **مآذن مدينة صنعاء, حتى نهاية القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي, دراسة اثرية معمارية**, وزارة الثقافة والسياحة, صنعاء, 2004م, صـ 80

48 – بهنسي, عفيف, **العمارة الهوية والمستقبل**, دائرة الثقافة والاعلام, المركز العربي للفنون, الشارقة, 2003م, صـ 49.

49 – وزيري, يحي, **العمارة الاسلامية والبيئة, الروافد التي شكلت التعمير الاسلامي**, عالم المعرفة, العدد 304, مطابع السياسة, الكويت, يونيو, 2004م, صـ 145

"العلاقة الثلاثية" بين الشكل والوظيفة، والعنصر الثالث والأهم وهو المضمون الثقافي الذي تفرضه طبيعة العلاقة بين المحددات الثلاثة.

من هنا كان لابد من انشاء صومعة لهذا الجامع, ليس لكونها رمزاً للعزة والرفعة[50] فحسب, بل إظهار تدين الوالي العثماني, إذ لا يوجد في هذه المدينة آنذاك هذا العنصر العماري الهام الذي ارتبط بالأذان المرتبط بالدين نصاً ومضموناً, أي ارتباطها بنهج الواحد في عمارة المساجد,[51] فكانت خير وسيلة للتعبير عن ذلك تتجلى للرائي من بعيد.

2- **حب الباشا ازدمر لمدينة الطويلة.**

اشتهرت مدينة الطويلة بهذا الاسم في المصادر التاريخية, إلا أن المصادر لم توضح لنا اسباب اتخاذ هذا الاسم للمدينة[52], غير انه من المتعارف عليه ان الولاة العثمانيون قد حرصوا على أن تكون المدينة مرتكزاً اداريا يسيطر على كل المنطقة الغربية لمدينة صنعاء, لاسيما ان مدينة كوكبان الواقعة الى الشرق منها وعلى مسافة ليست بالبعيدة, كان يقطن فيها الامام شرف الدين, وابنه المطهر الذي ناصب العثمانيين العداء[53], لذا فقد لاحظنا أن الوالي ازدمر قد منحه مدينة الطويلة حبه (عند ثبوت انه الولاء والامان) فقد كان اهل المدينة يدينون بالولاء التام ويأمنون الطريق للجيش العثماني, ولم يشر المؤرخين الى حوادث عنف قد حصلت في مدينة الطويلة خلال الوجود العثماني, بل العكس من ذلك, اذ تؤكد التقارير العثمانية التزام اليمنيين بالقوانين وتقيدهم بالأوامر الصادرة اليهم[54].

3- **التأكيد على استفتاح مدينة صنعا وساير الجهات اليمنية:**

تشير بعض المصادر إلى الوالي ازدمر باشا قد استفتح ريمه ووصاب وعتمة عند عودته من تهامة وليس ذلك فحسب, بل واصل فتوحاته حتى صنعاء الذي تمكن بعد الاستقرار فيها من أن يعد جيش توجهه به إلى مدينة صعدة وطرد الاشراف منها[55].

على الرغم من سقوط معظم المناطق اليمنية في يد ازدمر باشا, فان بعض الجيوب كانت خارج سيطرت القوات العثمانية ومنها كوكبان وحصن الغراب في ثلاء الذي تحصن فيه المطهر بن شرف الدين[56], ومع هذا يذكر النقش أن ازدمر قد استفتح مدينة صنعاء وساير الجهات اليمنية, على اعتبار أن ما يخرج عن السيطرة العثمانية إلا النزر اليسير الذي لا يؤثر على مجريات الإحداث حينذاك[57] من جهة, ومن جهة أخرى كان الدافع إلى الإشارة لذلك في النقش كنوع من الدعاية, إذ إن الدعاية ليست إلا محاولة التأثير في الناس عن طريق عواطفهم في سبيل الوصول إلى غاية مقصودة دون تقديم معلومات محددة, كما أنها

50 - **موسوعة الحضارة الاسلامية**, اشراف محمد حمدي زقزوق, وزارة الاوقاف المصرية, القاهرة, 2005م, صـ 884

51 - والي, طارق, **نهج الواحد في عمارة المساجد**, اصدارات بيت القران, البحرين, 1993م, صـ 298.

52 - المقحفي, ابراهيم احمد, **معجم المدن والقبائل اليمنية**, دار الكلمة, صنعاء, 1406هـ/ 1985م, صـ965.

53 - سالم, سيد مصطفى, المصدر السابق, صـ 206- 208.

54 - عامر, محمود علي, **اليمن من خلال لائحتي محمد خليل افندي**, الاكليل, العدد الاول, السنة السابعة, ربيع 1409هـ/1989م, صـ 90.

55 - ابن الحسين, يحي, **غاية الاماني في اخبار القطر اليماني**, تحقيق سعيد عاشور, القاهرة, 1968م, صـ713.

56 - سالم, سيد مصطفى, المصدر السابق, صـ 203

57 - سالم, سيد مصطفى, المصدر نفسه, صـ 208

لا ترمي إلى الإقناع بقدر ما ترمي إلى التأثير على السلوك العام[58], لذا نجدها قوية التأثير على المجتمع المحلى الذي كان سائد آنذاك وإعلام الناس بأن الباشا قد استفتح صنعاء التي كانت مركزا مهما في اليمن وليس ذلك فحسب, بل وساير الجهات اليمنية أمست خاضعة للباشا العثماني وما على الناس إلا الولاء للسلطنة والسمع والطاعة.

4- الإجلال لأهل مدينة الطويلة.

[أ ج ل]. (مصدر أَجَلَّ). " حَيَّاهُ بِتَقْدِيرٍ وإِجْلاَلٍ ": بِتَعْظِيمٍ وَتَبْجِيلٍ , هُوَ أَهْلٌ لِلاحْتِرَامِ وَالإِجْلاَلِ, معنى اسم إجلال: عزة وسلطان ورفعة، التعظيم والاحترام والتقدير, ويقال فعلت كذا من إجلالك, أي من أجلك, ان هذا الاجلال هنا من قبيل الاستحباب لتطيب خاطر اهل المدينة, وتالفاً لقلوبهم, ولان ذلك اذهب لأضغانهم, بالإضافة الى ان الاجلال يعد من باب التكريم والاعتبار لهم وكسب ودهم.

ولهذا على من تولى مدينة الطويلة الالتزام بالإجلال لأهلها لانهم ملتزمين بالشرائع والقوانين.

5- احتوى مدينة الطويلة على سوق محترم.

يعد السوق مصدر التكسب والتجارة والحرف، وقبل التطرق إلي السوق لابد من الإشارة إلي الوضع التجاري للمدينة, إذ يبدو أن المدينة نشأت وتطورت عمرانيا نتيجة لموضعها المحصن طبيعيا, تحميها الحصون والقلاع التاريخية, فضلا عن موقعها الجغرافي على المسلك التجاري الذي يربط بين صنعاء وكوكبان ويمر بشمات ومنها إلى الطويلة فمصنعة التيس(المحويت حاليا) ويمتد حتى يصل إلى سهل تهامة.

فعلى الرغم من إحجام المصادر التاريخية عن الإشارة إلي الوظيفة التجارية لمدينة الطويلة, فمن الواضح ان ازدهارها قد ارتبط بالتجارة, فهي لا تمثل محط رحال القوافل لمجرد الاستراحة ثم مواصلة السير, فذلك أمر لا يكفي لإيجاد حركة تجارية دائبة ادت إلى ازدهار عمراني في المدينة- كما هو الحاصل المرئي- بل نرجح أن السوق كان نقطة لقاء يغير فيها التجار بضاعتهم.

وسوف نتناول السوق من ناحيتين هما: أهميته وتخطيطه الحضري:

أولا أهمية السوق:

للسوق في المدينة الإسلامية مكانة عالية، إذ إنه موضع التعامل والمبادلات فيما بينهم، وعن طريقه يحصل كل فرد على أموره المعيشية، وحاجاته الضرورية، ومستلزماته الخاصة والعامة, ونظراً لأهميته في حياة الناس فقد حظي السوق بعناية الرسول – صلى الله عليه وسلم- واهتمامه، حيث تعهده بالإشراف والمراقبة، ووضع له ضوابط، وسن له آداباً، وطهره من كثير من المعاملات المحرمة , فتم تحريم كل ما من شأنه إلحاق الضرر بالمسلمين أو التأثير على قوى السوق[59], كما أن الإسلام قد جعل الشؤون المالية للإنسان المسلم خاضعة لأحكام شرعية يترتب عليها الثواب والعقاب, ولذلك اعتمد لضمان التزام الأسواق وسلامتها نوعين من

58 – سلامة, عبد الحافظ محمد, المصدر السابق, صـ 78

59 – السمهودي, المصدر السابق, صـ747-750.

الرقابة هي: الرقابة الذاتية وهي شعور الفرد وإحساسه بمراقبة الله سبحانه وتعالى له في كل صغيرة وكبيرة، ورقابة الدولة من خلال المحتسب المتولي[60] الاشراف على سلامة بيع التجار وتعاملهم[61] .

وفيما يرتبط بالموضوع الذي نحن بصدده، فان الحديث عن سوق الطويلة، يبدو للوهلة الأولى صعباً، بل ومتعذراً، بسبب عدم توفر المصادر التي اشارت الى هذا السوق لإعطاء صورة متكاملة عنه, غير انه من المرجح ان التجارة في هذا السوق نوعين, تجارة محلية تعتمد على المحاصيل النقدية التي تزرع في المنطقة, وتجارة كبرى تقوم على نشاط القوافل التي تورد البضاعة الى المدينة وإعادة تصديرها منه, وهذه هي التي اكسبت السوق طاقة (دينامية) اقتصادية متجددة ذات شان, ونشاط تجاري دائب, هي التي تكمن – بدون ريب– وراء مظاهر الثراء في المدينة.

تخطيط السوق:

أنشئ السوق في مدينة الطويلة ضمن تخطيط المدينة، وهو لا يختلف من ناحية طراز عمارته عن الأسواق في المدن العربية والإسلامية, غير ان طبيعة المناخ السائد في الطويلة قد فرض نمطاً معيناً من الأسواق، فهي ضيقة وشبه مستقيمة، وتقوم على طرفيه الدكاكين المختلفة, وغالباً ما تكون ممراتها مسقوفة للوقاية من الأمطار وأشعة الشمس, وتوزعت على جانبي ممرات السوق (204) دكان[62] (شكل3), بالإضافة الى عدد من الخانات المعروفة محليا باسم (السماسر)[63], والتي مازال بعضها ماثل للعيان الى اليوم, كما حتمت تضاريس المدينة ان يكون السوق ممتدا من الشرق الى الغرب, تخصص كل جزء منه على بضاعة معينة, أن هذا التخصص والتنوع يعتبر مظهراً بديعاً من مظاهر الأسواق في المدن الإسلامية عامة[64], سواء في اليمن او خارجها.(لوحة 5,6,7)

ومن هنا يعد السوق القديم في مدينة الطويلة أحد أهم الآثار التاريخية التي تدل على مدى عراقة هذه المدينة من ناحية، ومدى حيويتها وفاعليتها التجارية على مرّ العصور الإسلامية من ناحية اخرى, فهذا العدد الكبير

---

60 – للمزيد عن الحسبة انظر: الماوردي(ت 450هـ/1057م) **الاحكام السلطانية**, بيروت, دار الكتب العلمية, 1402هـ, صـ240–259.

61– عمر, فاروق, ورحمة الله, مليحة, ونوري, مفيد محمد, **النظم الاسلامية**, دراسة تاريخية, دار الحكمة, بغداد, 1987م, صـ212.

62 – Dostal, Wallter ,Auf der Suche nach der Zukunft, Uber die lebenswirklichkeit in der Gebirgssiedlung al- Tawila: yemen3000 Jahre kunst und kultur des glucklichen Arabien penguin, . p444- 448

63– السمسرة: اطلق الاسم على المكان الذي يسكن فيه التجار الغرباء, ويتم فيه السمسرة وتبادل التجارة والبيع والشراء. العمري, حسين عبد الله, **مادة السمسرة, الموسوعة اليمنية**, ج 3, ط 2, مؤسسة العفيف الثقافية, صنعاء, الجمهورية اليمنية, 2003م, صـ1621.

64 – الكبيسي, حمدان عبد المجيد, **اصالة انظمة الاسواق في المدينة العربية**, بحث منشور في كتاب انظمة المدينة العربية, مركز احياء التراث العلمي العربي, وزارة التعليم العالي والبحث العلمي, بغداد, العراق, 1991م, صـ87.

من الدكاكين يدل على انه كان سوق مزدهرا في حينه, ومازالت تلك الدكاكين تؤدي وظيفتها, اذ نجد زخم الحركة التجارية فيه مستمرة الى اليوم (لوحة 9-10).

إن التزام هذا السوق بالقوانين وتقيده بالأوامر الصادرة اليه[65] قد استحق أن ينعت في هذا النص بأنه (سوق محترم).

6- اعفاء تجار الملح :

يعد الملح آنذاك من السلع النفيسة هذه المادة التي تعطي الطعام مذاقا خاصا، ولا يخلو مسكن أو طعام منها. إن مادة الملح لها تاريخ مجيد كجزء من تاريخ البشرية، وكأحد عوامل الحضارة والحروب والصناعة، فله العديد من الاستخدامات قديما وحديثا.

لقد ضلت سلعة استراتيجية لفترة طويلة في القرون الوسطى كان الملح يقوم مقام النفط في ذلك الزمن، فمن يملكها يستطيع التأثير في مجريات الأحداث آنذاك.

أحداث جسيمة وقصص نادرة عن حروب ووقائع كانت كلها بسبب الملح والتجارة فيه، ومحاولة الجميع الحصول على مناجمه، أو الحصول على ضرائب للسماح للملح بالمرور عبر المدن والبلدان إلى الآخرين[66].

لقد كان تجار الملح في اليمن يجلبونه من صحراء مارب, بعد ان يحصلون عليه من مناجم صخرية، وبعد ذلك يتم نقله وتوزيعه إلى اغلب المناطق في اليمن[67].

لقد كان الملح وسيلة لجمع الضرائب، فالحاجة الشديدة له تغري بفرض الضرائب عليه, فضلا عن ان تلك الضرائب (الاتى) حينذاك كانت مصدراً رئيسياً من مصادر إيرادات الدولة, والتي كانت تتم وفقا لمبدا الا مركزية سواء الادارية او المالية[68], غير ان تجار الملح كانوا معفيين من هذا المطلب الجبائي المحلي, ويقصد به مجموعة الضرائب والرسوم المستحقة لفائدة الجماعات المحلية, أي تلك التي يرجع حق استخلاصها مباشرة من لدن الملزمين بأدائها, ويدفعونها جبرا مقابل نفع خاص يحصل عليه.

فعلى الرغم من عدم وجود نظام الرسوم المحلية، فإن سوق الطويلة خلال هذه الفترة عرف بعض الجبايات كان المستفيد الأول منها في المدينة المشايخ المتنفذين آنذاك[69](العاقل او ما عرف خارج اليمن بالمختار واعوانهم) وهي الشخصيات التي كانت تقوم ايضاً بحل المنازعات بين التجار اذا ما حدثت[70].

---

65 – عامر, محمود علي, المصدر السابق, صـ 90.

66- كيرلاسكي, مارك, **تاريخ الملح في العالم, الامبراطوريات, والمعتقدات, ثورات الشعوب, والاقتصاد العالمي**, ترجمة احمد حسين مغربي, سلسلة عالم المعرفة, 320, الكويت, اكتوبر 2005م, صـ 7-16.

67 – الوزير, علي عبد الله, والميتمي, محمد عبد الواحد, **مادة الملح, الموسوعة اليمنية**, ج 4, ط 2, مؤسسة العفيف الثقافية, صنعاء, اليمن, 2003م, صـ 2831

68 – العزير, عبد الكريم, **التشكيلات المركزية العثمانية والادارة المحلية في اليمن**, ط 1, صنعاء, 2003م, صـ 163.

69 – Dostal, Wallter ,op cit . p 448

70 – عامر, محمود علي, **اليمن من خلال لائحتي محمد خليل افندي**, الاكليل, العدد الاول, السنة السابعة, ربيع 1409هـ/1989م. صـ 90.

ويمكن تصنيف الجباية إلى جبايه دينية وأخرى سيادية، وتتجسد الجباية الدينية في الزكاة بالنسبة للمواشي والمعادن، والأعشار بالنسبة للحبوب وثمار الأشجار, اما الجباية السيادية فتتمثل في الرسوم, كرسوم السماح بمرور القوافل من الاراضي الخاصة بكل منطقة, او رسوم الدخول من أبواب المدن, أو الدخول إلى الأسواق لبيع المواد القادمة من خارج المنطقة.

إن اعفاء تجار الملح من الضريبة له مدلول كبير, فقد جاء مقابل محبة الباشا لأهل الطويلة الذين منحوا العثمانيين الأمان, وقد صور النص التأسيسي ذلك اشبه ما يكون برد الجميل.

7- الدعاء على من يغير ما جاء في النص.

ان الدعاء على من يقوم بتغيير ما جاء في هذا النقش بلفظ (لا بارك الله) وهذا الدعاء بمفهومه نزع الله البركة ممن يتعدا, فقد وردت لفظة (ب ر ك) في لسان العرب بانه فعل : رباعي لازم متعد بحرف. بَارَكْتُ ، أُبَارِكُ ، بَارِكْ ، مصدر مُبَارَكَةٌ أي النَّماء والزيادة, والتَّبْريك هو الدعاء للإنسان أو غيره بالبركة, ويقال: بَرَّكْتُ عليه تَبْريكاً أي قلت له بارك الله عليك, وبارك الله الشيءَ وبارك فيه وعليه: وضع فيه البَرَكَة, وقال الفراء في قوله رحمة الله وبركاته عليكم، قال: البركات السعادة, قال أبو منصور: وكذلك قوله في التشهد: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، لأن من أسعده الله بما أسعد به النبي، صلى الله عليه وسلم، فقد نال السعادة المباركة الدائمة, ويقال: باركَ الله لك وفيك وعليك وتَبَارك الله أي بارك الله وتَبَرّكْتُ به أي تَيَمَّنْتُ به, والعرب تقول باركَكَ الله وبارَكَ فيك، قال الأَزهري: معنى بَرَكة الله عُلُوُّه على كل شيء[71].

ان هذه الصيغة التي وردت هي كضمان من الضمانات التي قدمها الوالي في نطاق استمرارية له, ولمن سيأتي بعده, فالمبدأ ثابت ولا يحق لاحد القيام بتغييره, او يعيد النظر في تطبيقه مهما كانت الظروف, ومن هنا يمكن القول ان الهدف واضح ومحدد ولامجال لتغييره وتبديله لتبقى بعد ذلك كفرائض الزامية وواجبات يجب العمل بها ولا يجوز الخروج عنها باي حال من الاحوال, لا سيما وانها تمثل الاطار العام للعلاقة بين الوالي العثماني واهل مدينة الطويلة الذين يحبهم ويجلهم, ولا تشمل اللعنة بنزع البركة الامراء والبكوات فقط, بل من علم ذلك او اشرف عليه بعد ان احيط علما بهذا الامر.

توقيع الصانع:

على الرغم من عدم العثور على ترجمة لهذا الصانع, فانه من المرجح ان يكون شخص ذو شان في مدينة الطويلة حينذاك, فقد وضحت لنا شخصيته عندما ذيل هذا النص وبكل ثقة سطر ما نصه (كتبه الفقير إلى الله تعالى حسين بن المهدي محمد بن شهاب) مما يؤكد انه شخصية مرموقة في المجتمع اوكل إليه كتابة هذا النص, نيابة عن من امر ببناء الصومعة, وليس ذلك فحسب, بل كتب اسم شهاب على هيئة توقيع, وكأنه يخبرنا ان اسمه وتوقيعه قد ظهرت الى جوار اسماء الشخصيات العثمانية المدونة في هذا النص, ليمنح قارئه مزيدا من الثقة فيما ورد فيه.

71 – ابن منظور, أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم, **لسان العرب**, المجلد الثاني عشر, دار صادر, ط6, بيروت, لبنان, 1966م, صـ 265.

الاستنتاجات:

على ضوء ما تقدم يمكننا ان نخلص الى الاستنتاجات التالية:

1- بينت الدراسة مدى موائمة الموضع الذي ثبت فيه النص مع وظيفته الإعلامية.

2- اوضحت هذه الدراسة اهمية النص التأسيسي لمئذنة جامع الطويلة, وتعدد وظائفه, فهو لم يختص بالبناء فحسب, بل شمل العديد من المضامين.

3- بينت الدراسة المضامين التي قام عليها النص ليتمكن من خلالها التأثير في محيطه تأثيرا قويا ومباشرا, ويؤدي بذلك وظيفته الاعلامية.

4- فسرت هذه الدراسة اهمية تجديد الجامع وبناء صومعة له, لاسيما في مدينة اسلامية كانت تخلو منها, وكيف استدرك ذلك الامير قنصوه بعد تجديد الجامع, لما للصومعة من اهمية عمارية ورمزية.

5- اوضحت الدراسة الوضع التجاري والاقتصادي لمدينة الطويلة والتخطيط الحضري لسوقها.

6- بينت الدراسة مدى تأثير الإشادة بأهل مدينة الطويلة من قبل الوالي واعفاء تجار الملح, على كسب ولاء السكان وطاعتهم.

ولعل هذه الدراسة بما عرضت من اهمية الدور الاعلامي للنص التأسيسي لمئذنة الجامع الكبير في مدينة الطويلة, ان تكون خطوة في اتجاه الدراسة التحليلية لبقية النصوص لتتضح الصورة عن الحياة العامة في بقية المناطق اليمنية المختلفة .

التوصيات:

يوصي البحث بالدعوة الى الحفاظ على تلك النصوص التأسيسية, وكذلك الشواهد الموجودة في المنطقة, وتوثيقها قبل اندثارها, لاسيما وانها تتعرض للتلف من قبل الجهلاء من الناس.

قائمة المصادر والمراجع

1- ابن الحسين, يحي, **غاية الاماني في اخبار القطر اليماني**, تحقيق سعيد عاشور, القاهرة, 1968م.

2- ابن منظور, أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم, **لسان العرب**, المجلد الثاني عشر, دار صادر, ط6, بيروت, لبنان, 1966م.

3- ابو عرقوب, ابراهيم, **الاتصال الانساني ودوره في التفاعل الاجتماعي**, دار مجدلاوي للنشر والتوزيع, عمان, 2005م.

4- الاكوع, اسماعيل, **عوامل مقاومة اهل اليمن للحكم العثماني**, مجلة الاكليل, العددان 31-32, يناير- يونيو, وزارة الثقافة, صنعاء, الجمهورية اليمنية, 2008م.

5- آصف, عزتلو يوسف بك, **تاريخ سلاطين بني عثمان من اولهم حتى الآن**, كلمات عربية للترجمة والنشر, القاهرة, 2012م.

6- الباشا, حسن, **موسوعة العمارة والاثار والفنون الاسلامية**, اوراق شرقية, ط1, بيروت, لبنان, 1999م.

7- البستاني, بطرس, **دائرة المعارف**, مؤسسة مطبوعاتي اسماعيليان, تهران, 1878م.

8- بهنسي, عفيف, **العمارة الهوية والمستقبل**, دائرة الثقافة والاعلام, المركز العربي للفنون, الشارقة, 2003م.

9- الثنيان, محد بن عبد الرحمن راشد, **دراسة اثرية لطريق الحج اليمني الاعلى الواصل بين صنعاء ومكة المكرمة**, ط1, وكالة الاثار والمتاحف, وزارة المعارف, المملكة العربية السعودية, 1420هـ/ 2000م.

10- الجوهري, إسماعيل بن حماد, **الصحاح- تاج اللغة وصحاح العربية**- تحقيق احمد عبد الغفور عطارد, دار العالم للملايين, ط 2, بيروت, 1979م.

11- الحداد, محمد حمزة, **العلاقة بين النص التأسيسي والوظيفة والتخطيط المعماري لمدارس القاهرة في العصر المملوكي**, بحث منشور في كتاب بحوث ودراسات في العمارة الإسلامية, الكتاب الأول, دار نهضة الشرق, ط 1, القاهرة 2000م.

12- الحمداني, موفق, **علم نفس اللغة من منظور معرفي**, دار المسيرة, ط1, عمان, الأردن, 2004م.

13- سلامة, عبد الحافظ محمد, **وسائل الاتصال والتكنولوجيا في التعليم**, دار الفكر, ط2, عمان, الاردن, 1998م.

14- السمهودي, نور الدين علي بن احمد(ت911هـ) **وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى**, ط 2, بيروت, 1971م.

15- سيف, علي سعيد, **مآذن مدينة صنعاء, حتى نهاية القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي, دراسة اثرية معمارية**, وزارة الثقافة والسياحة, صنعاء, 2004م.

16- الشهابي, قتيبة, **النقوش الكتابية في أوابد دمشق**, وزارة الثقافة, دمشق, 1997م.

17- الصابوني, محمد علي, **صفوة التفاسير, القسم الاول, تفسير سورتي الفاتحة والبقرة**, دار القران الكريم, بيروت, 1981م.

18- عامر, محمود علي, **قافلة الحج اليمني خلال العهد العثماني الاول**, مجلة الاكليل, وزارة الثقافة والسياحة, العدد الاول, شتاء 1413هـ/ 1992م.

19- عامر, محمود علي, **اليمن من خلال لائحتي محمد خليل افندي**, الاكليل, العدد الاول, السنة السابعة, ربيع 1409هـ/1989م.

20- عبد الغني, احمد جلبي, **اوضح الاشارات فيمن ولي مصر من الوزراء والباشات**, تحقيق فؤاد محمد الماوي, دار الانصار, القاهرة, 1977م.

21- العزير, **عبد الكريم, التشكيلات المركزية العثمانية والادارة المحلية في اليمن**, ط 1, صنعاء, 2003م.

22- العزير, عبد الكريم علي صالح, **قراءة تحليلية حول اهمية ارتباط ولاية اليمن بالإمبراطورية العثمانية** , مجلة الثوابت, العدد 63, يناير- مارس 2011م.

23- عمر, فاروق, ورحمة الله, مليحة, ونوري, مفيد محمد, **النظم الاسلامية**, دراسة تاريخية, دار الحكمة, بغداد, 1987م.

24- الكبيسي, حمدان عبد المجيد, **اصالة انظمة الاسواق في المدينة العربية**, بحث منشور في كتاب انظمة المدينة العربية, مركز احياء التراث العلمي العربي, وزارة التعليم العالي والبحث العلمي, بغداد, العراق, 1991م.

25- مؤنس, حسين, **المساجد**, سلسلة عالم المعرفة, العدد 37, المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب, الكويت, يناير 1981م.

26- المالكي, قبيلة, **تاريخ العمارة عبر العصور**, ط1, دار المناهج للنشر والتوزيع, عمان, الاردن, 2007م.

27- الماوردي(ت 450هـ/1057م) **الاحكام السلطانية**, دار الكتب العلمية, بيروت 1402هـ.

28- محمد, محمد سيد, **أمة تدعوا الى الخير**, سلسلة فكر المواجهة, العدد 24, رابطة الجامعات الاسلامية, ط1, القاهرة 2009م.

29- محمد, غازي رجب, **اهمية المسجد المركزية في المدينة العربية**, بحث منشور ضمن كتاب انظمة المدينة العربية, مركز احياء التراث العلمي العربي, جامعة بغداد, دار الحكمة للطباعة والنشر, 1991م.

30- المصري, احمد صالح, **المآثر العمرانية العثمانية في تعز دراسة تاريخية لما ورد في كتاب الاحسان للمؤرخ شمس الدين عبد الصمد الموزعي**, بحث منشور في كتاب: تعز عاصمة اليمن الثقافية على مر العصور, ج 3, مؤسسة السعيد, تعز, الجمهورية اليمنية,2010م.

31- المصري, أحمد صالح عبد ربه, **موقف المؤرخين اليمنيين المعاصرين للحكم العثماني الأول بين مؤيد ومعارض مع دراسة وتحقيق مخطوطة بلوغ المرام في تاريخ دولة مولانا بهرام للمؤرخ محمد بن يحيى المطيب**, أطروحة ماجستير مقدمة لكلية الآداب جامعة صنعاء, 2006م.

32- المقحفي, ابراهيم احمد, **معجم المدن والقبائل اليمنية**, دار الكلمة, صنعاء, 1406هـ/ 1985م.

33- **موسوعة الحضارة الاسلامية**, اشراف محمد حمدي زقزوق, وزارة الاوقاف المصرية, القاهرة, 2005م.

34- **الموسوعة السياحية**, وزارة السياحة, المجلس الاعلى للترويج السياحي, صنعاء, 2010م.

35- المهيري, سعيد عبد الله, **تأثير الاعلام على القيم الاخلاقية**, مجلة الثوابت, العدد 57, صنعاء, الجمهورية اليمنية, يوليو – سبتمبر ,2009م.

36- النجدي, عبد الرحمن بن محمد بن قاسم الحنبلي, **حاشية ثلاثة اصول لمحمد بن عبد الوهاب**, ط 5, (بدون مكان طبع), 1987م.

37- ألنجفي, شهاب الدين الحسيني المرعشي, **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**, دار العلوم, بيروت, لبنان. (بدون تاريخ طبع).

38- النهروالي, قطب الدين محمد بن احمد, **البرق اليماني في الفتح العثماني**, منشورات المدينة, ط2, بيروت, لبنان, 1986م.

39- الوازعي, شمس الدين عبد الصمد اسماعيل, **دخول العثمانيين الاول الى اليمن المسمى الاحسان في دخول اليمن في ظل عدالة آل عثمان**, تحقيق عبد الله محمد الحبشي, بيروت, 1986م.

40- والي, طارق, **نهج الواحد في عمارة المساجد**, اصدارات بيت القران, البحرين, 1993م.

41- الوزير, علي عبد الله, والميتمي, محمد عبد الواحد, **مادة الملح, الموسوعة اليمنية**, ط 2, مؤسسة العفيف الثقافية, صنعاء, اليمن, 2003م.

42- وزيري, يحي, **العمارة الاسلامية والبيئة, الروافد التي شكلت التعمير الاسلامي**, سلسلة عالم المعرفة, العدد 304, المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب, الكويت, يونيو , 2004م.

43- Dostal, Wallter ,Auf der Suche nach der Zukunft, Uber die lebenswirklichkeit in der Gebirgssiedlung al- Tawila: yemen3000 Jahre kunst und kultur des glucklichen Arabien penguin

قائمة الأشكال واللوحات

شكل (1) موقع مدينة الطويلة **(الباحث بالاعتماد على الخريطة السياحية)**

شكل (2) تفريغ النص التأسيسي للمئذنة **(الباحث)**

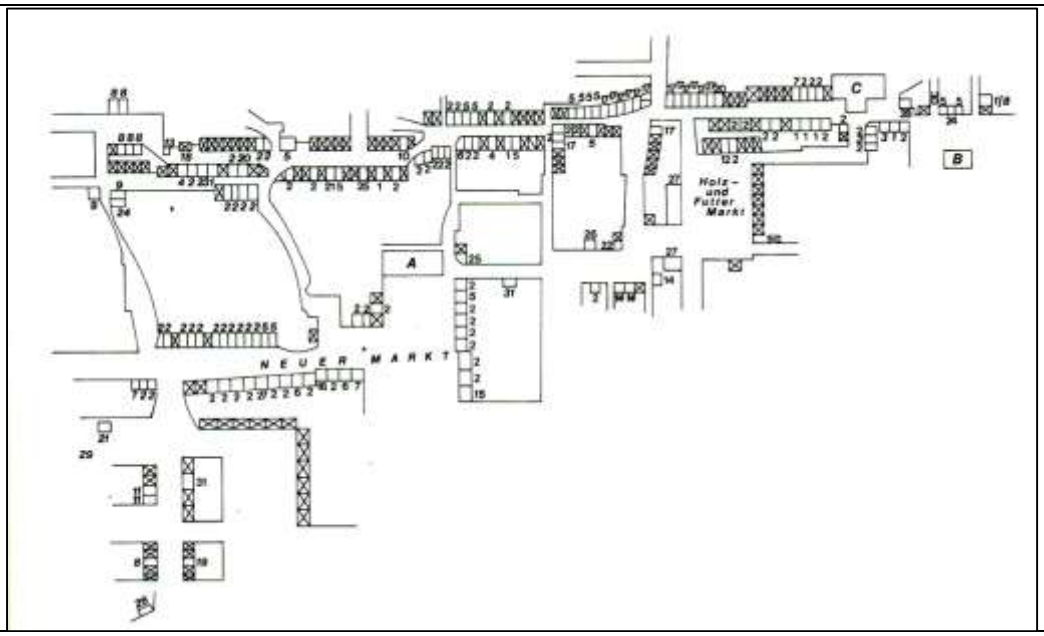

شكل (3) المخطط الحضري للسوق ويوضح توزيع الدكاكين **(نقلاً عن Dostal)**

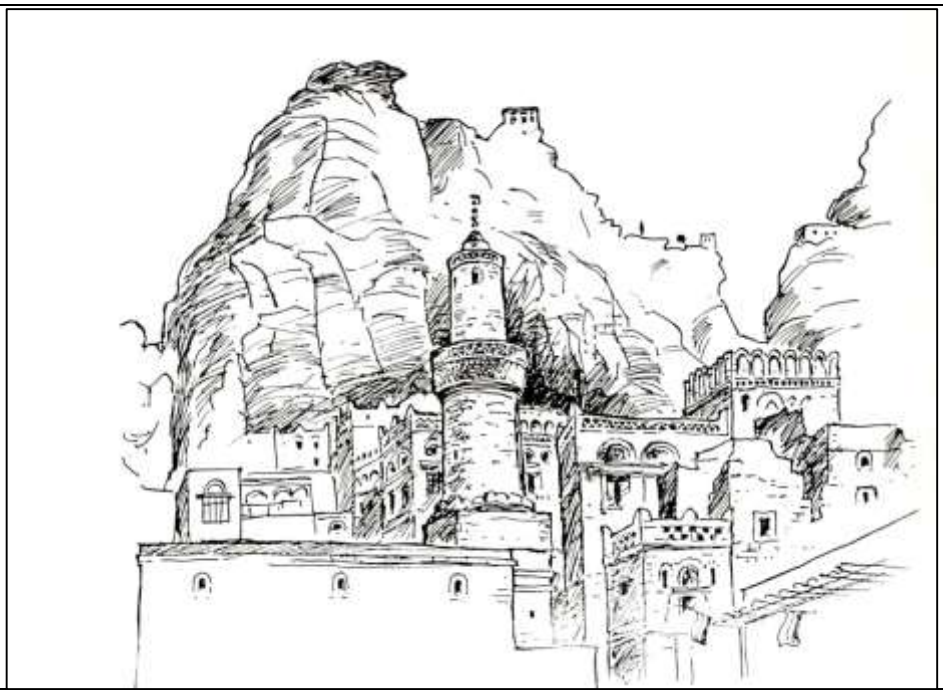

شكل (4) الجامع مع المئذنة **(نقلاً عن Dostal)**

لوحة (1) منظر عام لمدينة الطويلة **(الباحث)**

لوحة (2) النص التأسيسي للمئذنة **(الباحث)**

لوحة (3) مئذنة الجامع **(الباحث)**

لوحة (4) النص التأسيسي لتوسيع وتجديد الجامع **(الباحث)**

لوحة (5) المبنى الاداري العثماني في بداية السوق **(الباحث)**

لوحة (6) سوق الطويلة **(الباحث)**

لوحة (7) السوق من جهة اخرى **(الباحث)**

لوحة (8) الممرات المسقوفة أمام الدكاكين **(الباحث)**

لوحة (9) الحركة التجارية داخل السوق **(الباحث)**

لوحة (10) جانب من الحركة التجارية في السوق **(الباحث)**